من انجاز الأستاذ فيصل خضر – الجمهورية التونسية

- موضوع المقالة:

أتكلم لكونك لست وحيدا . . .

حلل وناقش هذا القول.

* لحظة التمهيد:

لان قلل البعض من قيمة الآخر، وقزموا من جدوى حضوره ، في علاقته بوجود الذات، وما ينبثق عنها من أفكار

ومتثلات وكلمات وأفعال، إلا أن من المواقف من يرى أن من بين شروط استمرار الذات في الوجود، هو الآخر

وهذا ما يعكسه القول التالي "أنا أتكلم لكوني لست وحيدا".

فهل من معنى لذات متكلمة ، وللكلمات ، بمعزل عن غيرية يوجه لها الكلام ؟، وهل يستوفي الكلام (اللغة) علاقة الأنا بالآخر؟

- من انجاز الأستاذ فيصل خضر
الجمهورية التونسية - معهد مكثر
سليانة

لحظة التحول

- الكلام , هو اللحظة التي ينفصل فيها الإنسان الإنساني , عن الإنسان الحيواني , تلك اللحظة , التي تقطع فيها الذات الإنسانية , مع العجز عن التكلم والتحدث , لتستحيل الماهية الإنسانية إلي ماهية لغوية, حيث تتمكن من ممارسة اللغة , من خلال التفاعل مع الآخرين. إذ ليس بكاء الطفل مثلا أو ضحكه , إلا شكلا من أشكال الرفض , رفض الإنسان لوضعه البدئي, وضع الصمت والرهبة , ليكون البكاء والضحك , أشكالا من الكلام الذي يرومر منه الطفل تواصلا , أي الدخول في علاقة إنسانية, نداء وصرخة , ترومر الذات من خلالها , تمزيق الصمت وزعزعة السكينة الموحشة , وتأكيد انتمائها الإنساني , نداء للآخر الإنساني, ليكون الوجود الإنساني , وجودا مع الآخر وللآخر بامتياز, انه نداء التواصل حيث يرتبط التواصل بلحظة وعي، مثلما أنّ الالتفاف حول الآخر يعيدني دوما إلى ذاتي...ذلك أنّ الوعي لغويا يشير إلى الخروج من العزلة وإلى ازدواجية "وجود مع". إنّ في التواصل فضيلة خلاقة يستشعر الإنسان المنعزل غيابها بألم شديد...إنّ للتواصل إذا فضيلة خلاقة، أن يُجلي لكلّ واحد ذاته في تفاعل مع الآخر." (جورج قوسدورف)

من انجاز الاستاذ فيصل خضر . الجمهورية التونسية . معهد مكثر سليانة

- وعلى هذا الأساس ، فان الوجود الإنساني ، هو وجود المعية (مع) ، إذ لا معنى لوجود لا يحضر فيه الآخر، ولا معنى لكلام ، لا يكون الاخر طرفا فيه. فالكائن البشري كما أكد على ذلك "غوزدروف" لايتموقع داخل ذاته، يقول " فحين يضحك الطفل الوليد، او حين ينقلب سريعا من الضحك إلى البكاء ، فانه ينادي من حوله ، من ينتظر منه جوابا، إنَ الكائن البشري لا يتموقع داخل ذاته"

- ولان الإنسان ،كائن متكلم ،أي كائن لغوي ، يستلزم الكلام ، فالكلام ، هو كلام ، لذات(الغيرية) عن الذات (الإنَية) ، هو بوح و إفصاح ، للغيرية ، عن مكنون الذات ومكمنها ، من مشاعر ، وأفكار ومتخيلات ، فاللغة بماهي ، تخاطب وتحادث ، تحيل إلى غيرية تشاركنا الوجود ، وتقاسمنا الهموم ، فالإنسان موجود في العالم من حيث هو، كائن متكلم ،

- ومن حيث هو كائن تواصلي، ليكون الحوار (الجدلية) قدر الإنسان ، بما يعنيه الحوار من تضمَن لكلام أرسله إلى الآخر وردا من الآخر يرسله إلى أنه يفترض الانخراط في تبادل للرسائل بين ذات (باثة) وذات (متقبلة) فالحوار، يوقظ فينا روح المسؤولية ، مسؤولية تقضي على طرفي الحوار، الإجابة والاستجابة للنداء ولا أحد بإمكانه أن يعوضنا في ذلك لأن الكلام موجَه إلينا وليس لأحد آخر. إن الحوار يخرج المرء من وحدته الصماء الفارغة أي من أنانته ويقحمه في فضاء تذاوتي ، علائقي.

من انجاز الاستاذ فيصل خضر - الجمهورية التونسية - مجهد مكثر سليانة

- يستحيل الآخر , إلي شرط للغة , فهو الذي يهب "الذات" حقيقتها, و الكلام معناه , فاللغة هي التي تأثث وجود الأنا مع الآخرين , ليتحول الوجود من وجود صامت , لا صوت له , إلي وجود مليء بالأصوات , مليء بالكلمات , مليء بالذوات , "إن الصوت المنطوق ، أو الكلمة , هو وحده ما يمنحنا وجودا يكون فيه الداخلي والخارجي مترابطين بشكل حميمي إلى حد كبير . وبناء على ذلك فإن الرغبة في التفكير بمعزل عن الكلمات لا تعد إلا محاولة لا معنى لها" هذا ما أكد عليه هيغل , في كتابه " فلسفة الروح".
- "أنا أتكلم, أنا آخر" , كوجيطو مفعم بالوجود الحقيقي , حيث يستحيل الكلام (اللغة) , جوهر الماهية الإنسانية و حقيقتها.
- لكن هل بمجرد الكلام تتقشع حقا الوحدة ؟

من انجاز الاستاذ فيصل خضر . الجمهورية التونسية . معهد مكثر سليانة

- إن ما يشهده الواقع الإنساني اليوم ، من قطيعة وانزواء وارتداد وإعراض عن الآخر ، رغم كثرة الكلام وفوضى العبارات ، فالكل ، يتكلم ولا احد يقول شيئا ، فنحن اليوم نسجل فائضا كلاميا ، حيث الكل يتكلم ، و يثرثر ، صراخ وضحك ، تهكم وهزل ، فالعالم صاخب بكل الأصوات ، و كل اللغات ، حيث تحولت كل الفضاءات الإنسانية ، إلي فضاءات كلامية ،تعززها وسائل الاتصال الحديثة ، حيث الكل ينادي ولا من مجيب ، وتتسع حِاجة الإنسان إلي الكلامِ ، فما أحوج إنسان اليوم إلي الكلام ، حيث لا تلبى هذه الحاجة اليوم ، إلا في العيادات النفسية ، ومصحات الأمراض العقلية ، حيث ينقلب صوت المجنون وصرخته المؤلمة وكلماته المبعثرة ، ترجمة لا واعية ، لوجع إنساني ، ينذر بفقدان المعنى .

- من انجاز الاستاذ فيصل خضر - الجمهورية التونسية
معهد مكثر سليانة

- إن لفقدان العلامة اللسانية لبراءتها ، وانحراف العلاقة بين الدال والمدلول في اللغة ، وفقدان الكلام لجماليته وفاعليته التواصلية ، حيث التهكم والفحش والثرثرة ، ترجمة لغياب العلاقة الحميمية بين الإنسان والإنسان .لتنتهي هذه العلاقة ، إلي نفور من الطرفين ، وما الصداقات الافتراضية اليوم التي تؤمنها وسائل الاتصال الحديثة ، والتقارب بين الإنسان والحيوان ، حيث يجد الإنسان عزاءه في "قط" أو" كلب" أو" قرد" ، ينسيه لمر غيرية إنسانية ، قد غابت ، وما كثرة المتحدثين ، الذين نجدهم اليوم يكلمون أنفسهم ، إلا علامة على قيمة الكلام من جهة ، و الخلل والاختلال الذي يصيب الذات حينما ، لا تجد من تكلمه ، يقول اجورج غوسدورف) ". أنا أتكلم لكوني لست وحيدا ، وحتى في حالة التكلم مع الذات و في حالة الكلام الباطني ، فاني ارجع إلي ذاتي بوصفي آخر" من هنا تتبين حاجة الإنسان للغة ، أي للكلام ، إذا كان الصَمت يحيل إلي الموت والألم ، وكذلك تتبين حاجة الإنسان للآخر ، ففي حضور آخر نكلمه ، تتقلص حدَة الألم ، لمر الوحدة ولمر الخوف ، فالألم تجربة تزداد قسوة ، ولا يمكن للإنسان أن يواجهها بذاته المفردة ، وهل من لمر أعظم من لمر الذات حينما تفقد قيمة الكلام.

من انجاز الاستاذ فيصل خضر - الجمهورية التونسية - معهد مكثر سليانة

* لحظة النقد

- + لا معنى إذا ، للغة والكلام ، بمعزل عن حدي العلاقة (الأنا والآخر) ، ولا معنى للأنا ، بمعزل عن غيرية تشاركها الوجود وتشاركها تجربة الكلام ، كتجربة وجودية من تجارب الذات ، كما أن ماهية الذات تشترط الكلام (اللغة) والكلام يشترط حضور الآخر ، ليكون الآخر في نهاية الأمر ، شرط اللغة وشرط الذات ، فالآخر هو ماهية "الأنا" كانا متكلمة.
- لكن رغم هذه النزعة التفاؤلية ، التي تنتصر للتواصل والحوار ، تؤكد الصلة الوثيقة بين الأنا والآخر والتي تعززها اللغة ، فذلك لا يمكن أن يخفي عنا ، حقيقة التواصل اليوم ، حيث تحول الكلام إلي مناسبة لممارسة العنف (العنف اللفظي) ويستحيل الآخر إلي جحيم ، نخشى التكلم معه.

- من انجاز الاستاذ فيصل خضر - الجمهورية التونسية
معهد مكثر سليانة

لحظة الخاتمة:

يموت المرء مثلما يولد ، وحيدا ، ولا يقدر الآخر على مساعدته ، انه يجد نفسه منقوقعا في العذاب ، منعزلا في اللذة ، وحيدا أمام الموت.

من انجاز الأستاذ فيصل خضر – الجمهورية التونسية

.لست أنت إلا أنت ،لست أنت إلا ما صنعت....

من انجاز الاستاذ فيصل خضر . الجمهورية التونسية . معهد مكثر سليانة